

## التسامح ودوره في بناء مجتمع المواطنة

أ.م.د. وجدان جعفر جواد عبد المهدي الحكاك  
جامعة بغداد / مركز البحوث التربوية والنفسية

### ملخص البحث

سعى البحث الحالي الى تعريف مفهومين مهمين جدا في الأدب النظري التربوي والنفسي والاجتماعي هما التسامح والمواطنة والتعريف بهما في أطر نظرية دينية واجتماعية ونفسية لتوضيح دورهما بشكل عام وفي المجتمع العراقي بشكل خاص وكيف يمكن أن يسهم التسامح في بناء مجتمع المواطنة، وتضمن البحث الفصل الأول بتحديد أهمية ومشكلة وأهداف ومصطلحات البحث، والفصل الثاني بتوضيح الأدبيات النظرية للمفهومين بدءا من الأدب الديني كما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثم نظرة عامة اجتماعية ونفسية وثقافية وسياسية، وفصل ثالث لتوضيح طبيعة العلاقة بين المفهومين والى اين تتجه من خلال البحث عن المشتركات وتحديد العوائق بينهما، ثم الاستنتاج في تحقيق هدف البحث بالكشف عن كيفية اسهام التسامح في بناء مجتمع المواطنة بالمشتركات بينهما ايجابيا والابتعاد عن العوائق السلبية، واتضح أن قاعدة التسامح اتسعت بشكل كبير لتحقيق بناء مجتمع المواطنة لعمق المفهوم دينيا واجتماعيا، فمن تسلح بالتسامح كسمة وقيمة انسانية عظيمة يمتلك القدرة على الدفاع عن حقه واسترجاعه، بل وحتى الدفاع عن حق الآخر المختلف معه في كل شيء، لتحقيق العيش المشترك في وطن واحد وبنائه بعدالة ومساواة وسلم وسلام، وانتهت الباحثة بتوصية، ومقترح.

الكلمات المفتاحية : (التسامح Tolerance) – (المواطنة Citizenship)

### Research Summary

The current research sought to identify two very important concepts in the educational, psychological and social theoretical literature, namely, tolerance and citizenship, and their definition in religious, social, and psychological frameworks to clarify their role in general and in Iraqi society in particular, and how tolerance can contribute to building the society of citizenship. the second chapter is to clarify the theoretical literature of the two concepts starting with the religion in the Holy Quran and the (Sunnah) of prophet, and then a social, psychological, cultural and political overview, third chapter is to clarify the nature of the relationship between the two concepts and where it goes through To find the participants and identify the obstacles between them, and then the conclusion in achieving the goal of research to reveal how to contribute to tolerance in cyeation the community of citizenship and the participants

positively and away from the negative obstacles, and it became clear that the rule of tolerance has expanded significantly to achieve the building of the citizenship community to the depth of the concept religiously and socially, And a great humanitarian value that has the ability to defend and restore its right, and even to defend the right of the other, which is different in everything, to achieve coexistence in one nation and to build it in justice, equality, and peace.

### الفصل الأول : أهمية البحث ومشكلته

تعيش البشرية اليوم مأزقا حضاريا خطيرا في ظل عولمة تسلطية طغت فيها المادة على الروح وانحسرت معها القيم الانسانية والأخلاقية حتى أستهين بحياة الانسان وكرامته، فكل شيء أصبح في غير شكله ومحلّه، فتداخل الثقافات والمصالح الفئوية الضيقة وتبعات السياسات المحلية والاقليمية والدولية من جانب، وتراجع منظومة القيم الانسانية والدينية والأخلاقية والوطنية النبيلة من جانب آخر، ولا بد من الايمان بالاختلاف كسنة كونية ايجابية وتعميم ثقافة اللاعنف ونبذ التعصب والتطرف والعلو وبث روح الموضوعية والوسطية والشراكة والاعتدال والعمل على تحقيق الوئام في سياق الاختلاف، وكل ما من شأنه تعميم السلم الأهلي والأمن المجتمعي ووحدة المجتمع للنهوض واسترجاع أبسط حقوق وآمال الشعوب العربية المظلومة (الحكاك، ٢٠١٥، ص ١٤٤)، فما تعرض له المجتمع من هزات وحروب وكوارث طبيعية وبشرية كالاحتلال الاجنبي وشيوع الجريمة والفساد والقتل والنزاعات العشائرية، تركت بصمة خطيرة على حياة المواطن، فاثارت نار الحقد والعنف والتطرف في النفوس فما زاد من المعاناة الانسانية في القضايا الاخلاقية والاجتماعية، واهدار كافة الحقوق الانسانية والدينية، كالحق في الحياة والتسامح والتعايش السلمي (ناجي، ٢٠١٧، ص ٢)، فضلا على التطور العلمي والتكنولوجي السريع والانفتاح الحضاري وازدياد الفضائيات وتسييس أغلبها لجهات معادية للوطن، وانتشار الاجهزة الالكترونية والمحمول وتوسع الشبكة الدولية للمعلومات المتزايد والمتنامي، فشكلت تشويشا بارزا على مفاهيم الفرد اتجاه الولاء للوطن، وفي ظل فقدان الشعور بالانتماء والولاء المجتمعي كأسوا التراكمات التي تخلفها الازمات والحروب، وفي ضوء الاحتياجات اثر الدمار من أزماته وحروبه، يستلزم اعادة بناء الحياة في جو يسوده السلام، وتنمية ثقافة الحوار والتسامح وخلق فضاء واسع لهما لانهاء حالة الاحتراب المسيطرة على المفاصل الحيوية جميعها، وتوطيد العلاقات بين الطوائف والقوميات بالاحترام وتقبل الآخر (الجميل، ٢٠١٥، ص(ش-ص)). ما يعكس معاناة الشعب العراقي في تعرضه للحروب المتتالية والتغييرات السياسية والاقتصادية سيما بعد عام (٢٠٠٣)، وتأثيرا بالغا في حياة المواطنين وقيمهم ومفاهيمهم، مثل مفهوم المواطنة وضرورة تحديد وجوده وخصائصه وعناصره، وتعرضه الى ضغوط شديدة قبل وبعد الاحتلال ليكون تابعا لولاءات وانتماءات متعددة كل له كيانه وأهدافه واستحقاقاته (الحيدري، ٢٠١٠، ص ١-٢)، فقد تعرض منذ أكثر من ثلاثة عقود لأزمات متواصلة شكلت أكثر

التحديات تعقيدا في تأريخه الحديث فتفاقت المشكلات بشكل خطير وتراكمت التهديدات وأوجد وضعا هشاً يتسم والتشطي المجتمعي فتقلصت مساحة الحوار وفرص التسامح وتواصلت المشكلات فافتقرت الارادة الاجتماعية لأدوات تمكين ممارسة الأدوار التنموية التي عرفها المجتمع العراقي عبر تأريخه الطويل بتسامحه وتعاونه واندماجه الاجتماعي ومشكلات وأمراض العنف والتطرف والتعصب هي الأبرز والأخطر للفتك ببناءه الاجتماعي (الجميلي، ٢٠١٥، ص٢) ونتيجة الضغوط النفسية والاجتماعية والسياسية دفعت الفرد العراقي للبحث عن ما يلجأ اليه فاصبحت الهويات الفرعية بديلا مطروحا امامه للالتفاف حولها ما يشكل عبئا على المواطنة حين يتحول ولاءه من الولاء للوطن الى الولاء للعشيرة أو الطائفة أو الدين، ما يعيق بناء المواطنة بناء صحيحا (جبر، ٢٠٠٨، ص١).

ان معرفة التسامح ضروري وجوهري بكل ما يحمله من قيم انسانية عظيمة في واقعنا الراهن، انه ليس مجرد ترف فكري، بل الاسلوب الاساس القادر على جعل المجتمع مكانا صالحا للحياة وفقا لجميع الاعتبارات، فالواقع التاريخي والمعاصر للعراق كان ولا يزال ملتقى الأديان السماوية ومهد الحضارات العريقة والعيش المشترك، انها خلاصة تأريخ طويل لمجموعات من الشعوب، اتخذت من هذه الرقعة الجغرافية مقرا وموطنا لها، ومن طوائفها جامعا مشتركا تعرف به من خلال ممارستها الدينية والاجتماعية والتربوية والسياسية والاقتصادية وغيرها(الجميلي، ٢٠١٥، ص٣). ومثله مفهوم المواطنة، كعملية متواصلة في الشعور بالانتماء للوطن والاعتزاز به وغرس حب النظام والاتجاهات الوطنية والأخوة والتفاهم والتعاون بين المواطنين واحترام النظم والتعليمات والشعور بالواجبات اتجاه الوطن، وتعريفهم بمؤسساته ومنظّماته الحضارية وواجب احترامها ومراعاتها (ناريان، ٢٠٠٤، ص٤)، بل انها مبدأ ومرجعية دستورية وسياسية لا تلغي عملية التدافع والتنافس في الفضاء الاجتماعي، بل تضبطها بضوابط الوطن ووحدته القائمة على احترام التنوع، والافادة منه بوسائل قانونية وسلمية في تمثين الوحدة الوطنية، فتشعرهم بأن مستقبلهم مرهون بها فلا تشكل نفيا لحياتهم بل مجالا للتعبير عنها بوسائل منسجمة مع قاموس الاختلاف وآفاق العصر ومكتسبات الحضارة (الدين، ٢٠٠٦، ص٢)، ولا يكتمل مفهوم المواطنة الا بنشوء دولة الانسان المدنية التي تمارس الحياد الايجابي اتجاه قناعات ومعتقدات وايديولوجيات مواطنيها فلا تمارس الاقصاء والتمييز اتجاههم بسبب معتقداتهم أو أصولهم القومية أو العرقية، انها مؤسسة جامعة لكل المواطنين وتمثل المحصلة الأخيرة لمجموع اراداتهم، انها رابطة الامة السياسية، فالدولة هي أعلى بناءات المجتمع السياسي وتتطورها وتتطور الروابط العضوية لمكوناتها القبلية والقومية والدينية والطائفية الى رابطة المواطنة (حسن، ٢٠١٣، ص٣)، انها الضمانة الحقيقية والرئيسية لأي مجتمع ديمقراطي يتمتع فيه الجميع بكافة الحقوق ويؤدوا ما عليهم من واجبات بصرف النظر عن الدين أو الجنس أو اللغة، لأنها ترتكز على الحقوق وعلى الواجبات، لكن اذا عدت بوصفها حقوقا فقط، فهذا أهم معوقات ترسيخ مبدأ المواطنة المطالبة بالحقوق الذي تتساوى فيه مع مسؤولية أداء الواجب، فالمواطنة

من القضايا القديمة المتجددة التي تفرض نفسها عند معالجة أي من أبعاد التنمية بالمفهوم الانساني الشامل خاصة ومشاريع الاصلاح والتطوير عامة، انها بالغة الأهمية في المجتمع الانساني وحسب ازدياد درجة التنظيم الاجتماعي (غيلان وعباس، ٢٠١٥، ص١٠١٨). فالتنمية الوطنية المستقرة تتطلب اعداد المواطن الواعي المنتج، ليؤهل للمشاركة والتأثير في المتغيرات التنموية الرئيسة السياسية والاجتماعية والاقتصادية (جرار، ٢٠١١، ص٤٦٧)، وان الهوية الوطنية المشتركة تؤدي دورا مهما في بناء الديمقراطية بل هي من شروط اقامتها، فاذا كانت الهويات الفرعية غير قادرة على بناء دولة وطنية ديمقراطية لتشكيل هوية وطنية مشتركة (العادلي، ٢٠٠٨، ص٦-٧)، وان المواطنة المعاصرة خرجت عن نطاقها التقليدي الى حق ثابت في الحياة القانونية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية بين الدولة ورعاياها بمصطلح "المواطنة" التي لاجورها لها في التعريفات أو الانتماءات العرقية والطائفية ولاوجود لها في ظل النظم الملكية غير الدستورية أو الدكتاتورية أو الارستقراطية انها حصيلة ترسيخ الدولة الحديثة بسيادة حكم القانون والمشاركة المدنية السياسية الكاملة في ظل دولة المؤسسات (حسن، ٢٠١٣، ص٤).

وعليه فان مشكلة البحث تأتي من أهمية كل ما تقدم عن مفهومي التسامح والمواطنة القديمين الحديثين المتجددين، ودورهما البارز في مجمل مناحي الحياة، سيما المشهد العراقي في الربع الاخير من القرن الماضي، فشهد تغييرات واسعة في مختلف المجالات، أدت الى ظروف استثنائية أثرت بدورها على العلاقات الاجتماعية عامة وعلى سلوك الفرد خاصة، ونتاجها أضعف الالتزام بالمثل العليا والقيم السامية، وتبني انماط سلوكية اجتماعية سلبية ما يجعل الافراد أقل شعورا بالمسؤولية الاجتماعية والانتماء والمواطنة (غيلان وعباس، ٢٠١٥، ص١٠١٨)، ولا أهم من التسامح كأبرز هذه المثل والقيم السامية، فهو مبني أساسا على حقوق البشر والشعوب جميعا، وكذلك المواطنة وأهميتها في سيادة منطق القانون والمساواة وحفظ الأمن الذاتي والأمن العام في الوطن، بالانخراط في خلق آليات المصلحة العامة في ممارسة دور فاعل ونشط للمواطن ومشاركته في الحياة الاجتماعية والوطنية على قدم المساواة مع الآخرين، وهذا الدور الذي يميزه في تقدم المجتمع وليس أصله العرقي أو الاجتماعي أو الطبقي أو جنسه ذكرا أو انثى، ما يؤدي الى عدم التمييز بل المساواة في الحقوق والواجبات وانهاء العنصرية كمفهوم مثير لاشمئزاز الانسان (الدين، ٢٠٠٦، ص٦) ان مشكلة البحث الحالي تتمثل في الاجابة عن السؤال:

س : ماهي العلاقة بين التسامح والمواطنة في مجتمع بكل ماتعرض له، وأوضحته الباحثة، أصبح مناديا بكل شرائحه وطبقاته واثنياته باتجاه بناء مجتمع يعيش فيه الجميع على أرض واحدة ويتعايشوا فيه كوطن واحد، ويؤدوا واجباتهم ليحصلوا على حقوقهم تعايشا سلميا مبدأه الاعتراف بالآخر والتسامح معه، كفضيلة تجعل السلام ممكنا عالميا تستبدل فيه ثقافة العنف والحرب بثقافة السلام والبناء للمجتمع، بل عده كجزء من العدالة التي هي أساس المساواة بين البشر، الأمر الذي يستوجب من الباحثة وجميع الباحثين في العلوم التربوية والنفسية والاجتماعية وحتى السياسية والقانونية، البحث عن هذه العلاقة،

ومحاولة ايجاد المنافذ والعلاجات لتخفيف حدة المشكلات وخطورتها بين شرائح المجتمع، واشاعة ثقافة التسامح والحوار وقبول الآخر من أجل التعايش السلمي مع التنوع الثقافي كما في أغلب الأوطان المتحضرة التي تمتاز بشكل واضح بالانسجام والاندماج في ظل نظام اجتماعي أفرز نظاما سياسية وثقافية وممارسات ديمقراطية رصينة، بالعيش المشترك كمواطنين يسعون الى بناء مجتمع المواطنة ويحصلون على امتيازات مواطنهم في دولتهم، كالحقوق العامة للعيش بحياة كريمة في دولة تحافظ لهم على حقوقهم هذه، كالتعليم والعمل والمشاركة السياسية والانتخاب والتصويت والتمتع بالحريات الفردية التي يكفلها الدستور، كحرية الاعتقاد الديني والتعبير عن الرأي، و... الخ.

**أهداف البحث :** سعى البحث الحالي الى تعرف :

١. مفهومي التسامح والمواطنة بحسب الأطر النظرية والأدبيات المتوافرة عنهما.
  ٢. العلاقة بين مفهومي التسامح والمواطنة وكيف يسهم التسامح في بناء مجتمع يتمتع بالمواطنة.
- حدود البحث :** يتحدد البحث الحالي بـ :

١. الجانب النظري حول الأدبيات النظرية لمفهومي التسامح والمواطنة، وماهية العلاقة بينهما.
٢. استنتاجات البحث، والتوصيات والمقترحات التي تخدمه والافادة منها.

**مصطلحات البحث :**

**أولاً: التسامح (Tolerance):**

**التسامح لغة:**

١. لسان العرب : أن التسامح والتساهل مترادفين، فسمح، السماح، السماحة، المسامحة، والتسميح، وتعني لغة الجود، وأسمح اذ جاد وأعطى بكرم وسخاء، وأسمح وتسامح واقفني على المطلوب، والمسامحة هي المساهلة (ابن منظور، ١٩٥٦: ص ٤٩٥).
٢. مجمع اللغة العربية : أن أصل كلمة التسامح في اللغة العربية يعود الى جذر أو مادة "سمح" بمعنى اللين والسهولة ويأتي في اللغة مرادف للتساهل (مجمع اللغة العربية، ١٩٦٥: ص ٤٤٧).
٣. ابن مسكويه : ان التسامح ليس فضيلة واحدة، بل هو فضيلتان هما السماحة: بذل بعض ما لا يجب، والمسامحة: ترك بعض ما يجب، والجميع بالارادة والاختيار، وكلاهما أحد أشكال السخاء، وينتميان في آخر المطاف الى العفة التي هي من كبرى الفضائل، والتي يفترض في السلوك الاخلاقي أن يتمثلها، فهي الطريق الى الخير والسعادة (ابن مسكويه، ١٩٨٢: ص ١٢).

**التسامح اصطلاحاً :**

٤. فولتير (Voltaire, 1778) يعد التسامح خاصية الانسانية، ويقول: "كلنا معجونون من ضعف وأخطاء، لنتسامح مع بعضنا البعض عن تقاهاتنا"، وهذا هو القانون الأول للطبيعة (فولتير، ١٧٧٨: ص ٥).
٥. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" Unesco documents and publications انه الاحترام

والقبول والتقدير للتنوع الثري لتقافات عالمنا ولأشكال التعبير وللصفات الانسانية لدينا الذي يتعزز بالمعرفة والانفتاح والاتصال وحرية الفكر والضمير والمعتقد، انه الوثام في سياق الاختلاف، وليس واجبا أخلاقيا فحسب، بل وضرورة سياسية وقانونية، انه فضيلة تجعل السلام ممكنا عالميا واستبدال ثقافة الحرب بثقافة السلام (منظمة اليونسكو "UDAP"، ١٩٩٥، ص ١).

٦. المزين (٢٠٠٩) : كلمة تشير الى ممارسات جماعية كانت أم فردية تقضي بنبذ التطرف أو ملاحقة كل من يعتقد أو يتصرف بطريقة مخالفة قد لا يوافق عليها (المزين، ٢٠٠٩، ص ١١١).

٧. الجابري (٢٠١٣) : قبول اختلاف الآخرين في الدين والعرق والسياسة وعدم منع الآخرين من أن يكونوا آخرين أو اكراههم على التخلي عن آخريتهم (الجابري، ٢٠١٣: ص ١-٥).

٨. الجميلي (٢٠١٥) : اسلوب من أساليب التفاعل الانساني القائم على الاعتراف بالآخر واحترام رأيه والتعايش معه على أساس حرية العقيدة والتعبير، بالامتثال لمنظومة من القيم الانسانية والاخلاقية والدينية والاجتماعية والسياسية والعلمية، كالصفح والاحياء وقبول الآخر والانفتاح، كأفضل الطرائق والأساليب للوصول الى التعايش السلمي وتجاوز العقبات والانطلاق نحو مستقبل مشرق مبني على مبدأ الاحترام وتقبل وجهات النظر مهما اختلفت (الجميلي، ٢٠١٥، ص ١٣).

#### ثانيا : المواطنة (Citizen ship) :

##### المواطنة لغة :

١. لسان العرب : الوطن هو المنزل الذي تقيم به، وهو موطن الانسان ومحلّه، والجمع أوطان، ووطن بالمكان، وأوطن أقام، .. وأوطنه اتخذه وطنا (ابن منظور، ١٩٥٦، ص ٩٤٩).

٢. مجمع اللغة العربية : واطنه بمعنى : عاش معه في وطن واحد فهو مواطن له (مجمع اللغة العربية، ١٩٦٥، ص ١٨٤٤).

٣. معجم المعاني الجامع : واطن يواطن مواطنة، فهو مواطن، والمفعول مواطن، واطنه على الأمر، أضمر أن يفعله معه، أو وافقه عليه، واطن سكان البلد، عاش معهم في وطن واحد (معجم المعاني الجامع، ٢٠١٠، ص ١).

٤. أبو جاسر (٢٠١٠) : صفة صيغت للدلالة على المطاوعة والمشاركة، وهي مشتقة من اسم الفاعل (مواطن)، والمشتق من الفعل الرباعي (واطن)، أي قطن وآمن في مكان ما على بقعة من الأرض - البيت والقرية والمدينة كل منها وطن، وربما عد المال وطنا في زمن الغربة - لكن المفهوم المعاصر للمواطنة يتعدى الى القواسم المشتركة بين شعب أو أمة تقطن في رقعة جغرافية لها حدود سياسية تسمى بلدا (أبو جاسر، ٢٠١٠، ص ٣٤).

٥. العلمي (٢٠١٢) : كلمة مستحدثة في اللغة العربية ودخلت على الأرجح في اطار ترجمة التراث الغربي الحديث وتقابل (Citizenship)، في اللغة الانكليزية، و(Citoyennete)، في اللغة الفرنسية،

و(Ciudadania)، في اللغة الإسبانية، والاشتقاق من (City)، الإنكليزية و(Cite)، الفرنسية، و(Cuidad) الإسبانية، والتي تعني (المدينة) أما أصل مصطلح المواطنة فهو يوناني ويرجع لكلمة (Politeia)، المشتقة من (Polis)، وهي المدينة (العلمي، ٢٠١٢، ص ١).

#### المواطنة اصطلاحاً :

١. موسوعة المعارف البريطانية (١٩٩٠) : علاقة بين الفرد والدولة كما يحددها قانون تلك الدولة، متضمناً مرتبة من الحرية وما يصاحبها من مسؤوليات تسبغ عليه حقوقاً مثل : حقوق الانتخابات وتولي المناصب العامة وقد ميزت الدائرة بين المواطنة والجنسية، إذ أن الجنسية تضمن فضلاً عن المواطنة حقوقاً أخرى مثل الحماية في الخارج (Encyclopedia, 1990, p.143).
٢. الخطيب (١٩٩٤) : التعريف القانوني للمواطنة : وضع المواطن في مجتمع قائم على سيادة القانون ومبادئ المساواة وحقوق الجنسية والحقوق التي تمنحها الدولة للفرد، أما في العلوم السياسية فهي تعني مشاركة الأفراد في الحقوق والواجبات (الخطيب، ١٩٩٤، ص ١٣٥).
٣. مايلز (Mills, 2004) : الانتماء الواعي من الأفراد اتجاه الدولة والمجتمع بغض النظر عن أي انتماء عرقي أو اثني أو قومي أو غير ذلك (Mills, 2004, p.206).
٤. هاو (Howe, 2005) : علاقة قانونية بسيطة بين الشعب والدولة، تشير إلى وعي الفرد إلى الرابطة النفسية والعلاقات الاجتماعية التشاركية المتمثلة بحزمة من الحقوق والواجبات يشارك بها الفرد ضمن المجموعة التي يشعر أنه جزء منها (Howe, 2005, p.44).
٥. الربيعي (٢٠٠٧) : اتجاه إيجابي مدعم بالحب يستشعره الفرد اتجاه وطنه، مؤكداً وجوده بالفخر والعلو ويعتز بهويته وتوحيده معه، ويكون منشغلاً ومهموماً بقضاياها بشكل واعي، وإدراج مشكلاته، وملتزم بالمعايير والقوانين التي من شأنها أن تنهض به (الربيعي، ٢٠٠٧، ص ٧).
٦. ذياب (٢٠٠٧) : صفة المواطن الذي يتمتع بالحقوق ويلتزم بالواجبات في إطار الدولة القومية التي يحمل جنسيتها (ذياب، ٢٠٠٧، ص ٣).

### الفصل الثاني : الأدب النظري للبحث

#### أولاً : التسامح

يسجل مفهوم التسامح حضوره في عمق التجربة الإنسانية، ويتبدى في صيغ تتنوع بتنوع المجتمعات الإنسانية في إطار الزمان والمكان والمراحل التاريخية، فعرفته الحضارات الإنسانية وما يقابله من مفاهيم العنف والتعصب والعدوان، وتجلى في مختلف الآداب الفكرية للأديان السماوية السمحاء والأديان الوضعية فالمفهوم العام للتسامح لا يعني بالضرورة أن يرتبط بالجانب الاجتماعي على حساب جوانب الحياة الأخرى فكثيراً ما يستخدم من مفرداتها ومصطلحاتها ذات المعنى العام والشمولي، فيتعدى الجانب

الاجتماعي إلى الديني والاقتصادي والسياسي، وله علاقة عامة وشمولية ودور في مختلف أبعاد وجوانب الحياة (الحكاك، ٢٠١٥، ص ١٥٣).

### التسامح في القرآن الكريم والدين

قال تعالى في محكم كتابه العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم

(ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، وقال: (وَإِذَا خَاطَبْتَهُمِ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)، وقال: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، وقال: (خُذْ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)، وقال: (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ)، وقال: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ)، وقال: (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ)، وقال: (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)، وقال: (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)، وقال: (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم)، وقال: فممن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يجب الظالمين). صدق الله العلي العظيم

وفي السنة النبوية الشريفة وأحاديث الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجسيد واضح لآيات القرآن الحكيم في معنى مفهوم التسامح، فقال صلى الله عليه وآله وسلم :

( رحم الله امرئ سمحا اذا باع واذا اشترى واذا اقترض)، وقال: (انما أنا رحمة مهداة)، وقال: (ان أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على أعجمي الا بالتقوى)، وقال: (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر)، وقال: (وأن تعفو أقرب للتقوى)، وقال: (فمن عفا وأصلح فأجره على الله).

والقرآن الكريم دائماً ينشئ نفوس المؤمنين على خلق التسامح والعفو والصفح ومقابلة السوء بالإحسان ليعيش الناس في مواطنة ومواءمة تحت سقف الوطن الواحد، خاطب الله بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلب منه العفو عن أعدائه الذين أخرجوه وطردهو والعفو هو أعلى درجات التسامح، ونصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واضحة في توجيه الناس لهذا الهدف، فالقرآن يقرر أن الناس خلقوا من نفس واحدة "ليتعارفوا" فيما بينهم، والتعارف يقتضي التقارب والتحاور والمسامحة ولطف المعاملة وإذا كان أصل الجنس البشري واحداً وكلهم قد تشرفوا بنسبهم لأبيهم آدم فلا ينبغي أن تفرق بينهم اللغات والأديان، بل تحل المحبة والتسامح والتعايش الإيجابي بين أبناء آدم الذين جمعت بينهم رحم الإنسانية، فالمتسامح أنموذج بشري راقٍ استمع لصوت الإنسانية في داخله ونداء الحق في دينه وعبر عنه بسلوكه وأخلاقه ومعاملته والاختلاف البشري الذي خلق الله الناس عليه هو من الحكمة الإلهية لتستمر الحياة، ولن تجد من الأخلاق ما يريح القلب والنفس والبدن مثل التسامح، ولن تجد وطناً يعيش بسلام من دون

إرث عظيم من التسامح الاجتماعي، فالمتسامح شخص أرضى ربه وإنسانيته والمروءة وأوسع على نفسه وغيره فعاش سعيداً لأنه لن يخضع لسلطة الشر في وجوده الذاتي التي تتركس النبذ المتبادل بين الأفراد وتندعو إلى العداوة والبغضاء بل تتركس فكرة الانغلاق على الذات في تجلياتها العرقية والمذهبية والطائفية، كعوامل تصنع العنف في الوجود وأعداء الإنسانية ولدوا من رحم الشر ومن الصعب زرع بذرة التسامح في نفوسهم (الحمد، ٢٠١٧، ص ١-٣) والكثير من الآيات الحكيمة والأحاديث النبوية الشريفة تبين ان فضيلة التسامح انسانية أكدتها الأديان السماوية وحثت على غرسها في نفوس وضمائر البشر من أجل التخلي عن المشاكل الاجتماعية والنفسية والثقافية والدينية فالتسامح الديني يؤدي الى تسامح أخلاقي ثم تسامح اجتماعي تربوي ونفسي وسياسي (ناجي، ٢٠١٧، ص ١)، وهذا يمهد للمواطنة الحقيقية والتعايش السلمي من خلال الروح المشتركة التي تعامل الناس جميعاً بموجب إنسانيتهم وتنفيذاً لأمر الله بتكريم الإنسان "ولقد كرّمنا بني آدم" وإخبارنا بذلك هو تحريك لمشاعر الإنسانية وتوجيه للعواطف الأخوية ودعوة للإنسان كي يقترب من أخيه الإنسان في تسامح مجتمعي بلا تفريق بين أطيافه ولن تجد دعوة ولا آية دالة على ذلك كهذه الآية، فالله هو الذي كرم بني آدم فكيف لا نكرمه نحن (الحمد، ٢٠١٧، ص ٣).

ان التسامح أساس بناء الأوطان بل انه أساس انتشار الأديان ليس فقط الاسلام لأنه أساسا دين سلام، فأنجيل الدين المسيحي تقول: "لقد قيل لكم من قبل أن السنّ بالسنّ والأنف بالأنف"، وأنا أقول لكم: "لا تقاوموا الشرّ بالشرّ بل من ضرب خدّك الأيمن فحوّل إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداءك فأعطه أزرارك وإن سخّرك لتسير معه ميلاً فسر معه ميلين، ومن استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان، وعاشروا الناس معاشرة إن عشتم حنوا إليكم وإن متّم بكوا عليكم"، وهي نصوص تتضمّن مبادئ التسامح في أعلى صوره بل فوق الطاقة كدليل ثانٍ على تشارك الأديان السماوية في هذه الفضيلة ولا غرابة لأن الربّ واحد ومشرّع القيم السمحة واحد برغم اختلاف الأنبياء والأديان ومن النظرة للاختلاف والتعددية في الرؤية القرآنية وفي الاسلام كحالة طبيعية وسنة كونية منذ خلق الله الخلق التي تعبر عن قدرة الله عز وجل ومشيتته، فالبشرية او الانسانية واحدة وتتساوى في الخلق والقيمة على الرغم من الاختلافات ولايجوز للنظر للاختلاف كعائقا حائلا امام التعارف والتسامح والتعايش الايجابي فلا يكون التعدد والتنوع مبررا للنزاع والشقاق والحروب والعدوان بل دافعا للتعارف والتضامن لتحقيق العيش المشترك واثراء الحياة والنهوض بها وتحسين المجتمع البشري، ولعل القول المشهور: "الخلاف لا يفسد للود قضية" انما يتأسس على قاعدة العمل والمساواة فكما أعطي لنفسي الحق في أن يكون لي رأيي الخاص بي ووجهة نظري المستقلة كذلك أعطي ذات الحق لغيري للآخر لكل آخر فلكل فرد في الوجود شخصيته المستقلة ولا أدل ولا أبلغ على ذلك في مشيئة الله تعالى من اختلاف بصمة ابهام كل انسان عن غيره (زقزوق، ٢٠٠٣: ص ٧-٩).

### التسامح - وأدبياته قديماً وحديثاً

اصبح الحديث عن التسامح والدعوة الى اقرار مبادئه واشاعة قيمه واخلاقياته ليس حديثا عن قيمة واحدة مجردة نبحت عن تحقيقها بذاتها ولذاتها بل عن ثقافة متكاملة تنطوي على أبعاد عدة تستهدف تغيير الفعاليات ومحاولة الكشف عن المضامين الانسانية في مفهوم التسامح والعفو والتفاهم من أجل السلام، فالتسامح يعني الاحترام والقبول والتقدير الثري لثقافات عالما ولأشكال التعبير وللصفات الانسانية لدينا لانه يتطلب من الناس أن يتعايشوا في سلام مع من يحملون معتقدات وقيم مغايرة، وعدّ التنوع الثقافي والتعدد الحضاري دافعا ايجابيا للتفاعل والتبادل لا عائقا من دونهما في اطار الخصوصيات الثقافية والحضارية واحترامها (الجميلي، ٢٠١٥، ص٢٠١).

ان فضيلة التسامح انسانية أكدتها الأديان السماوية كما تبين، وحثت على غرسها في نفوس وضمائر البشر من أجل التخلي عن المشاكل الاجتماعية والنفسية والثقافية والدينية مثل الكراهية والحقد والضرب والعنف والقلق التي تترك آثارا مهمة في حياة الأفراد داخل المجتمع، بحرية الممارسة للشعائر الدينية والتخلي عن التعصب والتمييز العنصري، والاسلام دين التسامح في العدل والمساواة والذي يؤدي الى التسامح الأخلاقي مع الأفراد الذين نختلف معهم في القضايا الاجتماعية، وبالتالي يحصل التسامح الاجتماعي الذي يضمن العيش بسلام مع الآخرين بدون مشكلات وتقبل أفكارهم وممارساتهم التي قد نختلف معها، والاقرار بممارسة كافة الحقوق والحريات في المجتمع، فهو اساسا سلوك شخصي اجتماعي يصدر من الفرد دون وقوع أي هجوم على حقوق الفرد الآخر، فترك الآخر للتعبير عن أفكاره وثقافته بحرية دون مخالفته والتصدي له يحقق التآزر والمحبة والتعاون والألفة والانسجام ويعده للمسؤولية ليوقف بوجه مشاكل الحياة الاجتماعية، كونه ينمي مشاعر الاحساس بالمجتمع، وبخلافه الاغتراب عن الواقع الاجتماعي والديني والثقافي، فحاجتنا ماسة إلى غرس متطلبات التسامح في فضائنا الاجتماعي والثقافي والسياسي لأجل وحدتنا الاجتماعية والوطنية، لان ثقافة التسامح توفر صيغ سلوكية ثقافية اجتماعية ايجابية وتنظم المجتمع وتحافظ على استقراره وفقا لمصالح ومتطلبات ابناءه، انه جوهر عملية الضبط الاجتماعي الممارس على الأفراد عند قيامهم بسلوك مخالف لسياقات الفرد فهو يستقر في ضمير المواطن ويشعره بالارتياح، عند التخلي عن المخالفات التي تصدر من خلاله (ناجي، ٢٠١٧، ص١-٢).

ويعد الفيلسوف الفرنسي "فوليتير" (François Marie Voltaire 1694-1778) فيلسوف التسامح بحق لأنه وضعه في صيغة المبدأ الأول لقانون الوجود الطبيعي وكأساس للحقوق الطبيعية للإنسان، فيقول: "كلنا ضعفاء وميالون لقانون الطبيعة والمبدأ الأول للطبيعة هو التنوع، وهذا يؤسس للتنوع في مجال الحياة الإنسانية وقبوله كحق أساسي للوجود"، لقد أخذت فكرة التسامح في عصر التنوير خلال القرن (١٨) أبعادها كحقيقة فلسفية، وبدأت تغطي مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية، فتأسست على مبدأ إنساني قوامه أن لا وجود للحقيقة المطلقة، ما أدى إلى الإيمان بالحرية وبمبدأ الاختلاف وضرورة التواصل

بين البشر إلى أساس من قيم القبول والتسامح، وهنا يقول "فولتير"، كلمته المشهورة: "إنني لا أوافق على ما تقول، ولكنني سأدافع حتى الموت عن حقاك في أن تقوله"، ثم يؤكد ضرورة التسامح وحاجة الانسانية الى تعميمها بقوله: "ان استقصاء الطبيعة الانسانية، واكتشاف ما تحتويه من امكانية الزيف والضلال، يجعل التسامح ضرورة طبيعية، وتعميمها يضمن للكل الافادة منها، فلا أحد محمي من الوقوع في الخطأ"، ولقد شبه "فولتير" من يضطهد الآخرين بالوحش، وعمل على مجابهة الذين يضطهدون من يحمل آراء مخالفة، وعليه فان شرط التسامح وجود الاختلاف والتباين أصلا، لأنه يبني على أساس الاقرار والقبول بوجود الاختلاف والتنوع، انه خاصية وحاجة انسانية تتصل بانسانية الانسان التي كرمها الله تعالى ويجب أن تحترم وتسان، فهو لا يلغي الاختلاف ولا يفي التعارض بل يساعد على احالتهما الى اختلاف ايجابي وتنوع تكاملي وتوافقي بدلا من اختلاف التناقض والصراع، انه قيمة أخلاقية وفكرية تقوم على معاملة الآخرين كبشر واحترام انسانياتهم ومشاعرهم ومعتقداتهم وطريقة حياتهم بغض النظر عن ألوانهم أو أجناسهم أو انتماءاتهم الدينية والعرقية فتتجلى قيم العدل والمساواة والأخوة الانسانية (فولتير، ١٧٧٨: ص ٢٦٣-٢٦٤).

ان دوافع ومسببات التسامح من عدمه تجعل المرء يختار بين خيارات سلوكية عدة في وضعية خلاف مع الآخر، فالذين يتبنون مبدأ حق الآخر في الوجود وحقوقه في تطوير ذاته وقدراته إلى أقصى الحدود الممكنة وحدهم يمكنهم قبول التنوع والاختلاف والرأي الآخر ويدركون ضرورة البحث عن حلول إنسانية وموضوعية للصراع، وان مبدأ حق الآخر في التطوير الذاتي لإمكانياته ووجوده من أهم بواعث التسامح، كما في تجنب الصراع وعدم وجود الوقت الكافي للانخراط في الاختلاف مع الآخر أو بدواعي الشفقة وإعطاء انطباعات جيدة عن الشخصية إزاء الآخرين وكما نجده في دوائر العمل حيث يتجنب الموظف مصادمة رئيسه فيؤثر الخضوع تجنباً للأضرار المادية والنفسية التي قد يتعرض لها جراء الصراع والاختلاف (وظفة، ٢٠١٣: ص ١).

ويقوم المفهوم المعاصر للتسامح على مبادئ حقوق الإنسان العالمية، فربطت وثيقة إعلان المبادئ العالمية الصادرة في (١٦/ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٥م) بين التسامح وحقوق الإنسان والديمقراطية والسلم وارتقت به إلى صورة قيمة قانونية تتطلب الحماية من قبل المجتمع الدولي وورد في البند الأول منها، حول معنى مفهوم التسامح الصادرة عن اليونسكو الآتي:

١. قبول تنوع واختلافات ثقافات عالما، واحترام هذا التنوع.
٢. الاعتراف بالحقوق العالمية للشخص الإنساني، والحريات الأساسية للآخر.
٣. انه مفتاح حقوق الإنسان، والتعددية السياسية، والثقافية، والديمقراطية.
٤. تطبيقه يعني ضرورة الاعتراف لكل واحد بحقه في حرية اختيار معتقداته، والقبول بأن يتمتع الآخر بالحق نفسه، وأن لا أحد يفرض آرائه على الآخرين، وهذه المعاني الغنية والمتعددة الأبعاد تؤسس للتصور الجديد

للتسامح الذي تربطه علاقة ضرورية مع حقوق الإنسان والديمقراطية والسلام، فيجعله يتجاوز حدود الدين والفرد ليصبح حقا يمكن الدفاع عنه، وحمايته في نسق حقوق الإنسان الأخرى (منظمة اليونسكو، UDAP، ١٩٩٥).

### مبادئ التسامح وضوابطه

١. انه القدرة على قبول الآخر المختلف واحترامه ومحاورته والاعتراف به وعدم تنميته أو ازدراؤه.
٢. انه فهم حق الاختلاف والتعددية دون صراع والايامن بالعلاقات المتوازنة بين الأفراد والجماعات.
٣. انه قراءة واكتشاف الآخر ومايمتلكه من رؤى تمثل قانونا في العلاقات الحضارية.
٤. انه روح حضاري جوهره العدالة وقوامه الرحمة وأساسه الحوار مع الآخر.
٥. الحوار هو صوت العقل وأي أصوات ترفضه هي من الصراع والعنف والتعصب والعدوان (الشيخ، ٢٠٠٣: ص ٢-٨).
٦. يجب ألا يقصد به التساهل في الالتزام بتعاليم الدين أو التنازل عن الحقوق الأساسية الضرورية للحياة سواء كانت للفرد أو للجماعة كحق الحياة والعلم والعمل وصون الكرامة والأمن والاستقلال والتحرر والسيادة وهي حقوق التمسك بها والتعصب لها مشروع والتفريط أو التساهل بها خيانة.
٧. أن يكون مع القدرة على دفع العدوان ورد الاساءة والأذى، فلا يكون صمت العاجز وسلبيته تسامحا، فالعفو مع المقدرة على جزاء السيئة بمثله، فيشعر المعتدي بأن العفو انما جاء سماحة، فيعيد حساباته ويخجل ويظهر أثره التربوي والاجتماعي.
٨. أن يكون في حزم وخير، وليس لدعاوى عنصرية وفرض ثقافات وقيم وتوجهات على الثقافات الأخرى فبالتعددية الكل سواء، فلا حق وباطل أو جيد ورديء أو أعلى وأدنى.
٩. انه ليس مطلقا ولا مفتوحا على كل الأوضاع والاحتمالات بل يجب أن يكون مقننا.
١٠. ان لا يفهم كموقف للضعف أو الامتتان أو التعالي بترفع في ابداء الصفع، ولا التردد والاضطراب واللاحسم، بل قوة الضمير وشفافية النزعة الانسانية وسمو الاخلاق (المزين، ٢٠٠٩: ص ١٩١).

### خصائص التسامح وثقافته

١. إزالة الحقد والكراهية الموجودة في ضمائر البشر والابتعاد عن مفهوم العنف والجريمة، وتنمية روح المواطنة والديمقراطية لخلق وعي سليم بعيد عن مظاهر التخلف الاجتماعي.
٢. تنمية الثقافة الدينية والاجتماعية لتقوية العلاقات ونبت التعصب والتشدد في القرار والإجراءات الاجتماعية وتعزيز الشعور بالتعاطف والرحمة والحنان في القلوب والضمائر.
٣. نشر المحبة والعفو والمودة والاحترام والتعاون والتبادل في حل المشكلات التي ترزح العلاقات.
٤. الشعور بالسلام الداخلي والسعادة والخروج من الظلام الى النور وابرار السلام الاجتماعي في الدول والافراد والعيش خلوا من مشكلات الحروب والنزاعات والصراعات(ناجي، ٢٠١٧، ص ٣).

### عوائق التسامح وتحدياته

١. التخلف الحضاري وعدم القدرة على التوفيق بين التنوع الثقافي القائم.
٢. الانغلاق العقلي الذي لا يقوى على البحث عن الحقيقة أو يتعايش مع العقول الأخرى.
٣. جهل المتعلم فلا يجعل علمه ثقافة ترقى به حضاريا وانسانيا بل يبقيه متحجرا في دائرة الممتلكة غير المسؤولة لمصلحة ذاتية ومحدودية.
٤. انكار العقل العام الذي يشرك الناس جميعا، لان الاعتراف به يعني وحدة البشرية واسهامها بمعطيات واحدة كقاسم مشترك لتنوعات التعبير الفكري.
٥. الانكفاء على الذات وتغلغل آفة التعصب في فكر ووجدان الفئات الاجتماعية والثقافية والسياسية.
٦. العوائق التي ترتبط بالسياسات الخاطئة والايوضاج الاجتماعية العامة في المواجهة بالمثل دون دراسة الاسباب الكامنة، وأدون بناء الروح الانسانية المناهضة له وغياب شروط العدالة الاجتماعية والديمقراطية بمختلف مستوياتها الذي ينتج التعصب والحقد والكرهية والعنف كوسائل الاتصال والاعلام والاساطير والكتب الدينية والامثال الشعبية والاغاني والرغبة المتسلطة في السيطرة الكاملة للحفاظ على الهوية والاقليمية وانتصار مذهب سياسي رفضا للاختلاف والتنوع الذي يمارس بأبشع صورته حينما تسفك الدماء وتستباح الحرمات (اليازجي، ٢٠٠١: ص ٣-٨).

### ثانيا: المواطنة

ان تأريخ المواطنة هو تأريخ سعي الانسان من أجل الانصاف والعدل والمساواة، فقد ناضل من أجل الاعتراف بحقوقه منذ قيام الحكومات في الحضارات القديمة في وادي الرافدين مرورا بحضارة سومر وآشور وبابل وحضارات الصين والهند وفارس ومن ثم الاغريق والرومان وقد كان لاصدار الشرائع الدينية والقوانين الوضعية في العراق القديم بدءا من قانون حمورابي دور كبير في تنظيم الحياة وتحديد الواجبات وبيان الحقوق للأفراد وتحقيق المساواة أمام القانون، فاتحة بذلك الطريق الى الوصول لمبدأ المواطنة الحالي (الكواري، ٢٠٠١، ص ٢٣-٢٥).

### المواطنة في القرآن الكريم والدين

قال تعالى في محكم كتابه العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة)، (سورة التوبة/٢٥) صدق الله العلي العظيم

لقد وردت كلمة ومادة "الوطن" في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة التوبة، والمواطن جمع وطن، وهي مشاهد الحرب ومواقعها فانه تعالى نصر المسلمين في غزوات كثيرة اما نصرنا عزيزا مؤزرا كاملا كما في بدر والخندق واما نصرنا مشوبا بشيء كما في أحد وحنين (رضا، ١٩٤٧، ص ١) أما كلمة ومادة "الدار،

والديار" فقد وردت في آيات كثيرة ومواضع عديدة لتعطي معنى الوطن في أكثر من (٥٠) موضع تقريبا، فقال تعالى في محكم كتابه العزيز :

بسم الله الرحمن الرحيم

(واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون(٨٤) ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالأثم والعدوان وان يأتوكم أسارى تقادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون(٨٥))، وقال: (فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب)، وقال: ( ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط). صدق الله العلي العظيم

وفي السنة النبوية الشريفة وأحاديث الرسول الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجسيد واضح

لآيات القرآن الحكيم لمعنى مادة الوطن والديار، فقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم :

(كانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المواطن كلها راية المهاجرين مع علي بن أبي طالب وراية الأنصار مع سعد بن عباد)، وجاء: (نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن يصلى في سبعة مواطن: في المزبلة والمجزرة والمقبرة وقارعة الطريق والحمام ومعادن الابل وفوق الكعبة)، وجاء: (عن أنس بن مالك: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أن يشفع لي يوم القيامة فقال: "أنا فاعل" قال: قلت: يارسول الله فأين أطلبك؟ قال: "اطلبي أول ماتلبي على الصراط"؟ قال: "فاطلبي عند الميزان"، قلت: فان لم ألقك عند الميزان؟ قال: "فاطلبي عند الحوض فاني لا أخطيء هذه الثلاث مواطن"). صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فالقرآن الكريم يفسر الآيات التي أوردت كلمة ومادة "الدار والديار" بمجملها على انها "الوطن"، وأن الاخراج منه والنفي عنه صعب جدا وكأنه عقاب لشدته على القلوب والأنفس التي فطرت حب الديار والأوطان، فالله تعالى عاقب بني اسرائيل بأن جعلهم يتيهون في الأرض بلا وطن (٤٠) سنة، فالابعاد عن الوطن عقوبة للغزاة وقطاع الطرق والمشركين ولشدة ألم المفارقة للأوطان لا يصبر عليه الا قليل من الناس.

وعليه فان مادة وكلمة وطن وردت بحسب استعمالاتها ومواضعها بمعنى الديار ومحل الإقامة كالقرية والمدينة، ولان الحب والحنين والعلاقة والالتصاق بالوطن أقوى من كل شيء سوى الدين والعقيدة لذلك يتركه بصعوبة والم اذا مس دينه ولا حل الا بالخروج منه تقديما لسلامة الدين والعقيدة، فآثار حب الوطن والميل اليه وشدة وقع الم مفارقتة والخراج منه الذي قد يقع ظلما فيبيح لصاحبه الدفاع عنه ولو اضطر

للقِتال، وان حقوق المواطن في وطنه مما يجب على الدولة توفيره له، ثم واجباته تجاه وطنه وأفراد وطنه وأولي الأمر من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة الشريفة، فضلا عن حقوق المواطنين، فالمواطنة تصف وتحدد الالتزامات وتنظم علاقات السكان ببعضهم وبالسلطة وبالأرض عبر الحقوق والواجبات ومايتضمنها من علاقات شعورية بين الانسان والأرض فالأصل أن تكون أرض الاسلام وطنا واحدا له سلطة واحدة لكن أجاز التعدد من غير عداوة وبغضاء، وفعالية المواطن تبنى على وضوح الحقوق واستفادته منها كاملة متكاملة ومطالبته بالواجبات دون تعسف أو محسوبية، والحقوق في الكتاب والسنة ضامنة لكرامة الانسان ومحافضة على دينه ونفسه وعقله وعرضه ونسله وحرية وأهله وعلاقاته ومؤكدة على تساوي الناس أمام الشرع والقضاء أما الواجبات فللمحافظة على استقرار دار الاسلام وحمايتها والنظام فيها وضمان حقوق من غير الاديان ومعتقداتهم، وعليهم واجبات لضمان موالاتهم ومساهماتهم في الحفاظ على الدولة دليلا لحسن النية في الجوار (أفقيه، ٢٠١٦، ص ٤٩-٥٩).

### المواطنة - وأدبياتها قديماً وحديثاً

يرجع مفهوم المواطنة الى بدايات نشوء الحضارات الانسانية الا انه ظل متجددا مع تطور النظم الاجتماعية المختلفة، وعد الاعلان العالمي لحقوق الانسان الصادر عام (١٩٤٨) "المواطنة" هي العدل والمساواة في الحقوق والواجبات بين المواطنين كافة، وكرامة الانسان اولى حقوقه، انه مصطلح يؤسس لعلاقة بين الوطن والمواطن تقوم على الكفاءة الاجتماعية والسياسية فقد اقترن كمبدأ بحركة نضال التاريخ الانساني من أجل العدل والمساواة والانصاف، قبل استقراره كمصطلح في الأدبيات السياسية والفكرية والتربوية، ومنذ قيام الحكومات الزراعية في وادي الرافدين مرورا بحضارات سومر وأشور وبابل والصين والهند وفارس والفينيقيين والكنعانيين (غيلان وعباس، ٢٠١٥، ص ١٠٢٠-١٠٢١).

انها نتاج التحولات المجتمعية والسياسية المقترنة بولادة الدولة، ومع قدمه ومعروفيته لدى عدد من الحضارات الانسانية الا أن صيغته المعاصرة خرجت عن نطاقها التقليدي الى حق ثابت في الحياة السياسية والاجتماعية بين الدولة ومواطنيها، انه حصيلة ترسيخ مفهوم الدولة الحديثة في سيادة حكم القانون والمشاركة السياسية الكاملة في ظل دولة المؤسسات، فالمواطنة هي الحقوق المدنية والسياسية للأفراد والقائمة على مبدأ أحقية حامل الجنسية للدولة في الانتخابات، انها تحالف بين أناس احرار أو تضامن بين أناس متساوين في القرار والدور والمكانة، ورفض التمييز بينهم على مستوى درجة مواظنتهم وأحقيتهم الطبيعية لممارسة حقوقهم المواظنية بغض النظر عن درجة ايمانهم التي لايمكن قياسها وكذلك السياسة بمفهومها المعاصر والديمقراطي، فالمواطنة علاقة قانونية بين الاعضاء الشرعيين والمنتمين على المجتمع السياسي وبين الدولة، وتبقى المواطنة متلازمة في العلاقة مع طبيعة السلطة السياسية الممارسة في الدولة والتي تتحدد في ضوء الاسس القانونية لحقوق المواطنين، وواجباتهم اتجاه الدولة والمجتمع وهي شهادة عضوية في المجتمع السياسي ليضمن وصول المواطنين الى الموارد المدنية والاقتصادية والسياسية

والاجتماعية، ويمكن عده مفهوما جوهريا في تحليل العلاقات السياسية والاجتماعية لاي دولة (حسن، ٢٠١٣، ص ٢٥-٢٧). فالمواطنة اليوم عرفت تغييرات جوهرية في مضمونها واستخدامها فلا تجسد العلاقة بين الفرد والدولة في شقها السياسي والقانوني فقط، بل تطغى باهتمامها على كل مناحي الحياة المجتمعية محتلة تدريجيا مفهوم الدولة (الدين، ٢٠٠٦، ص ٢).

### المواطنة وعوامل بروزها

١. الأزمة التي تعرضت لها فكرة الدولة الوطنية نتيجة تحولات عدة شهدها نهاية القرن العشرين.
٢. تزايد المشكلات العرقية والدينية في أقطار كثيرة من العالم، وتفجر العنف والإبادة الدموية، ليس فقط في بلدان العالم الثالث (لم تنتشر فيها الحداثة)، بل في قلب العالم الغربي.
٣. بروز فكرة "العولمة" والتوسع الرأسمالي وثورة الاتصالات والتكنولوجيا ومراجعة مفهوم المواطنة بالحدود الإقليمية للوطن والجماعة السياسية وسيادة الدولة القومية، ووجود أقليات عرقية ودينية.
٤. ممارسة الفردية والتطرف واهتمام الأفراد بذواتهم منعطف خطير، يهدد التضامن الاجتماعي كقاعدة لأي مجتمع سياسي، من الشأن العام لصالح الشأن الخاص (الدين، ٢٠٠٦، ص ٤).

### خصائص المواطنة

١. حاجة انسانية ملحة (فردية واجتماعية).
٢. عالمية انسانية لكل البشر.
٣. شاملة لجميع مكونات المجتمع المدني.
٤. متوازنة بين الفرد والجماعة. (المالكي، ٢٠٠٩، ص ٢٥-٢٦).

### شروط تحقق المواطنة

١. وجود علاقة قانونية بين فرد (مواطن) ودولة.
٢. اشتراك الأفراد في وطن واحد.
٣. وجود حقوق وواجبات متبادلة بين الفرد والدولة.
٤. الوطن مصدر الحقوق والواجبات ولاشيء غيره.
٥. المساواة بين الأفراد (المواطنين) جميعهم على قاعدة الاشتراك في الوطن.
٦. خضوع الفرد (المواطن) لأنظمة المجتمع والتقييد بها.
٧. استبعاد الدين من هذه العلاقة القانونية استبعادا مقصودا (الشريف، ٢٠٠٩، ص ٥).

### مبادئ المواطنة

١. بروز الدولة القومية.
٢. تنامي المشاركة السياسية وتداول السلطة.
٣. ارساء حكم القانون واقامة دولة المؤسسات. (الدين، ٢٠٠٦، ص ٤).

### مجتمع المواطنة

ان مجتمع المواطنة أساسه وجود جماعة من الأفراد الأحرار الذين يعترف كل واحد منهم بالآخر ويكافأ معه، وأن حرية كل فرد ومساواته مع الآخر شرط لحرية الآخر ومساواته في الحقوق الطبيعية والسياسية (جوزيف، ٢٠٠٣، ص ١٠)، وانه تلك الدولة المدنية التي تجسد إرادة المواطنين جميعا فلا تميز بينهم لدواعي ومبررات غير قانونية ولا إنسانية فهي جامعة وحاضنة لكل المواطنين تدافع عنهم وتوفر ضرورات معيشتهم وحياتهم، ويتحقق ذلك بمشاركة سياسية فاعلة وفعالة، لكن المواطنة لا تعني فقط مشاركة المواطن في صنع القرار السياسي بل ضمان حقه فيها وعدم تنازله عن هذا الحق للآخرين، ان مجتمع المواطنة يتطلب الديمقراطية التي تعني في أبسط معانيها حكم الشعب للشعب بواسطة الشعب، انها تمكينهم من حقوقهم وأهمية إدراكهم لواجباتهم اتجاه مجتمعهم بشكل يجعل من العلاقة بين مفهومي الديمقراطية والمواطنة علاقة جدلية يصعب معها تصور إحداهما في غياب الأخرى، ويتطلب بلورة مجتمع المواطنة الإيمان الفعلي بمبادئها، فالدولة المدنية التي تحترم مواطنيها وتصور كرامتهم، وتمنحهم حرياتهم الأساسية هي التي تبلور بشكل عملي مفهوم المواطنة، وتخرجه من إطاره النظري المجرد إلى حقيقة سياسية ومجتمعية راسخة وثابتة، وأن الدولة يجب أن تتجه استراتيجية تشاركية فعلية مع فعاليات المجتمع المدني، فلا أخطر من أن يظل أفراد المجتمع في موقف المتفرج أو أقله حالة انتظارية قاتلة دون مشاركة، لأن مجتمع المواطنة لا يتوقف على القواعد والإجراءات التي يتبناها ويكفلها بل على طريقة استخدام الفرص (الدين، ٢٠٠٦، ص ٤-٦).

ان المواطنة بما تملكه من روح الانتماء والولاء والالتزام تسهم بشكل كبير وفاعل في توثيق وترصين أسس الدولة، فتوفر الاطار التفاعلي بين أبناء الشعب ذاته وتكون البوتقة التي تخرج منها مكونات الشعب بحلة بعيدة عن الانتماءات الفرعية التي تزعزع الاستقرار في البلد، انها تسهم في ترصين الوحدة الوطنية من خلال جانبين أساسيين هما:

١. خلق روح الولاء والانتماء الوطنيين: من معرفة أن الدولة هي الجهة الوحيدة التي يكون لها شعور المواطنة والولاء خالصا دون منغصات أو ولاءات فرعية تزعزع الشعور هذا، انه من أساسيات التكوين الذاتي للامم والجماعات والرابط المجسد للانتماء الى الجماعة، فتماسك الدولة وتقدمها مرهون بالولاء لها، فلا نتصور دولة دون انضواء رعاياها ضمن خيمة الولاء لوجودها وأرضها ومجتمعها، فالولاء الوطني هو الاطار الناظم للدولة والماسك بوحدتها والمغذي لديموميتها والمنتج لتطورها بضمانه لعطاء الافراد والجماعات والتزامهم ودفاعهم عن دولتهم في خضم معتركات البناء والبقاء، فالمواطنة تخلق روح الانتماء للبلد بمنظومة الأفكار والتطبيق الحقوقي لما يريده الفرد من السلطة وضمان وجوده وتمتعه بكل مميزات الانتساب للوطن، انها الحق الانساني والوطني الذي لا يمكن مصادرتة أو القفز على استحقاقاته العملية لانها ليست منة من أحد ليسحقها، وأول مرتكزاتها مقومات المساواة والحرية والعدالة كقواعد تستند اليها

منظومات الانتماء الوطني ذاتها لأي فرد أو شريحة مجتمعية، فتحتزن الحقوق كما الواجبات، ما يلزمنا تأسيس لائحة الحقوق والواجبات دستوريا بالقانون والثقافة والتربية.

٢. **سيادة مبدأ دولة القانون:** فالسلطة العليا يجب أن تكون للقانون وسيادته وهيمنته ونفوذه والزاميته للدولة والحكومة والمجتمع على حد سواء، فهو يجب أن يشرع ويحمي حقوق الانسان الفردية والجماعية الشخصية والمؤسسية، لانه الحامي لافراد الشعب والمجتمعات المحلية الدينية والعرقية والجماعات السياسية والاقتصادية والثقافية أمام أي تجاوز تمارسه السلطات أو مراكز القوة والنفوذ فالوطن تعبير مركز للانتماء القانوني والسياسي والثقافي والشعوري والعاطفي باقليم جغرافي محدد ومعين على أساس شروط ومواصفات ومعالم تميزه عن الأوطان الأخرى بخصائص طبيعية أو مكتسبة وعوامل عدة تدخل في صياغته، والمواطنة استنادا الى ذلك تعني وعيا وشعورا وانتماء حيا وحباً مركزا في الفرد والشعب أو الامة اتجاه وطنهم الذي يحتضنهم والعائد اليهم فتنشأ الحقوق والواجبات في بعدها الانساني والقانوني في ثنائية العلاقة بين المواطن ووطنه، سيما الدستورية والقانونية (حسن، ٢٠١٢، ص ٥٣٦-٥٣٩).

### أسس ومرتكزات مجتمع المواطنة

١. **المواطنة كدعامة أساسية للنظام السياسي الديمقراطي:** تحصر المواطنة في القدرة على ممارسة الحقوق المرتبطة بمشاركة سياسية في إطار نمط ديمقراطي، الذي يتحدد من خلال مشاركة المواطنين في تدبير شؤون مجتمعهم، فمجتمع المواطنة لا يتم إلا في ظل نظام ديمقراطي يحقق التعددية الحزبية والسياسية ويقر صراحة وفعليا بحقوق الإنسان عالميا كالتصويت في إطار انتخابات حرة وعادلة أو الترشيح لوظيفة تشغل بالانتخاب وحرية التعبير والمشاركة في منظمات سياسية مستقلة والوصول إلى مصادر مستقلة للمعلومات والحريات الأخرى والفرص التي تلازم العمل الفعال للمؤسسات السياسية في الديمقراطية.
٢. **المجتمع المدني كأساس للمواطنة الحقة:** ثمة علاقة جدلية بين بلورة مجتمع المواطنة وتفعيل المجتمع المدني كمفهوم حديث النشأة في الثقافة السياسية، فممارسة المواطنة كنشاط داخل المجتمع المدني لا تتم بشكل عرضي بل بشكل منظم ومتواصل بطرائق صغيرة لا تعد لانها جزء من نسيج حياتنا اليومية لاننتبه إليها غالبا، ففي كل مرة نحضر فيها قداسا دينيا أو نذهب لاجتماع أولياء أمور الطلبة أو نساعد في عمل خيري أو ننجز عملا أو مهمة بشكل جيد وبإخلاص نكون عندها مواطنين محترمين، ان إشاعة وعي اجتماعي ثقافي سياسي يوكل إلى التنظيمات السياسية والاجتماعية والحقوقية على اختلافها، وهؤلاء الفرقاء عادة ينتجون قيم المجتمع فيؤسسون لثقافة التسامح والاختلاف مثلما يغرسون في الفرد الايمان الفعلي بالمواطنة الحقة، فمؤسسات المجتمع المدني تأخذ على عاتقها استيعاب طاقات المجتمع وتبلور كفاءاته وقدراته ومعالجة مشكلاته، وتعميق وبلورة فعلية لمفهوم المواطنة، ان الواجب يستلزم من الأفراد الدفاع عن وطنهم الخاص، كقاعدة من السلوك المنظمة لنشاط الأفراد الأخلاقية كالواجبات والقوانين التي يعرفها الكل فلا ينحصر فعلنا في إرادة الخير فقط بل في معرفة طبيعة ذلك الخير.

٣. بلورة تنمية مستدامة فاعلة وفعالة: تكمن علاقة جدلية بين المواطنة والأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية السائدة، فالكثير من مضامينها على الصعيدين الذاتي والموضوعي بحاجة إلى فضاء مجتمعي قوي ومتجدد، يأخذ على عاتقه تحريك الساحة بقواها ومكوناتها المتعددة.

٤. الإعلام المواطن: فارتفاع المشاركة الإعلامية يرفعها في كل قطاعات النظام الاجتماعي، وتظهر بنشر المطالب الحديثة لمؤسسات المشاركة في اقتصاد المستهلك عبر الدفع النقدي والائتمان، والمناقشة العامة عبر الرأي، والحكومة التمثيلية عبر التصويت (الدين، ٢٠٠٦، ص ٢-٤).

### الفصل الثالث : المواطنة والتسامح .... أية علاقة

ان بناء مجتمع المواطنة ودولته يتطلب من الافراد ان يستعدوا للتضحية بما يحقق مجتمعهم ودولتهم وأهم ركائز هذا البناء "التسامح" بما يحمله من صفح جميل (فاصفح الصفح الجميل)، (وان تعفو وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم)، (ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)، (وان تعفو وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم)، (فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين)، اذا فللتسامح ثلاث درجات هي العفو والصفح والغفران، والعفو هي المفردة التي امرنا الله سبحانه وتعالى بإنفاقها، ولذا فعل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاجل بناء هذا المجتمع (الرماحي، ٢٠١٥، ص ١)، فضلا عن مفاهيم العدل والصبر على الاذى والاحترام للآخر وتقديره ومساعدة المحتاجين ونصرة المستضعفين ونشر المحبة والاخاء والرحمة والانصاف وغيرها، كما يستشعرها الانسان ضمن نسب مختلفة وحسب حاجته لها فهي تشد وقت الازمات وحدث الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية وتضعف في اوقات اخرى عندما تقل الحاجة لها، والواقع في العراق اليوم بما فيه من قضايا امنية خطيرة وتفكك اجتماعي واسري مؤلم بحاجة لها لتحقيق أمنه وسلامته وتعيد روح الاخاء والتعاون بين افراده وتقوية العلاقات الاسرية في ظروف حرجة ينبغي لهذه المفاهيم التنموية ان تكون هي شعار الانسان اينما وجد، فتداخل الثقافات والمصالح الفئوية الضيقة وتبعات السياسات المحلية والاقليمية والدولية من جانب، وتراجع منظومة القيم الانسانية والدينية والاخلاقية والوطنية النبيلة من جانب آخر، أعطى صورة كلية مفزعة للعالم الغارق في الحروب والعنف والتطرف والارهاب، ما يشكل خطرا حقيقيا على القضايا الوطنية للشعوب العربية ويهدد وحدتها، وعليه فان مفهوم المواطنة لا ينجز في ظل أنظمة شمولية - استبدادية، لأن بنيتها الضيقة تحول مؤسسة الدولة الى طبقات مستفيدة ومحرومة، فتقدم باليد اليمنى الامتيازات والمكافآت وتضرب باليد اليسرى لممارسة الاقصاء والتهميش وعدم الفصل بين السلطات، واستمرار سيطرة السلطة التنفيذية على السلطتين القضائية والتشريعية والابتعاد عن المحاسبة

والمسائلة لمهدي المال العام نتيجة سوء الاداء الاداري والمالي، يفقد ثقة المواطن بمرتكزات السلطة التي لم ترتق الى طموحاته عبر تعزيز أسس الحكم الديمقراطي السليم المستند الى القوانين والتشريعات، فضلا عن الدور الحقيقي لمنظمات المجتمع المدني واهل الفكر والعلم ورجال الثقافة والنخب السياسية في اعادة الاعتبار للمبادئ الانسانية والاخلاقية التي عاش عليها المجتمع العربي طوال مراحل تأريخه سيما نشر ثقافة التسامح والحوار السلمي الهادئ واحترام الآخر وتقبل وتقدير الاختلاف كسنة كونية ايجابية، وتعميم ثقافة اللاعنف ونبذ التعصب والتطرف والعلو وبث روح الموضوعية والوسطية والشراكة والاعتدال والعمل على تحقيق الوئام في سياق الاختلاف وكل ما من شأنه تعميم السلم الاهلي والامن المجتمعي من أجل النهوض لاسترجاع أبسط حقوق وآمال الشعوب العربية المظلومة (المزين، ٢٠٠٩، ص ٤)، ولأن التسامح أساسا من القيم والمبادئ الثقافية والدينية لمجتمعنا المحافظ عليها، فضلا على قيم التآزر والمحبة والتعاون والتفاعل بين فئاته الأخرى في تخليه عن مظاهر التطرف الثقافي، والفوارق الطبقية والاقتصادية، فنسعى الى اعادة بناء الحياة في جو يسوده السلام، وتنمية ثقافة الحوار والتسامح وخلق فضاء واسع لانهاء حالة الاحتراب التي تسيطر على مفاصل المجتمع والدولة الحيوية جميعا، وهذا ما نحتاجه اليوم من اجل توطيد العلاقات بين الطوائف والقوميات على أسس متينة من الاحترام وتقبل الآخر، باشارك جميع المؤسسات في تشكيل هذه البنية الوطنية المشعة التي تنطلق منها قدرات الافراد والمؤسسات ودورها في ترسيخ الاخلاق، فيصبحوا أكثر انفتاحا في تفكيرهم وحوارهم ونقاشهم وتكوين البناء الثقافي والسلوكي والعلمي في تقبل التنوع والتعامل مع الآخر ومحاورته بعقلانية، ولا بد من جهد علمي لسبر أغوار هذه المشكلة لما تتركه من آثار حضارية وشخصية ودينية وتنموية في المجتمع العراقي (الجميل، ٢٠١٥، ص ٢٠١٥). ان الوطن والمواطن والوطنية تشكل ما يسمى العائلة المرتبطة بمفهوم المواطن، ان الوطنية اطارا وعملية فكرية للمواطنة التي تعد عملية ممارسة، وقد يكون الفرد مواطنا ولكنه ليس وطنيا، والوطنية مفهوم انساني شامل ومتعدد الابعاد يحتوي على معان سياسية واجتماعية واخلاقية وثقافية (غيلان وعباس، ٢٠١٥، ص ١٠٢١)، وتؤثر المواطنة في القيم الديمقراطية والمعارف المدنية ايجابيا والوعي بالحقوق والواجبات للفرد اتجاه نفسه والآخرين من ابناء وطنه، وتسعى الى غرس حب الآخرين واحترام حقوقهم كما في الدستور، وتعزز اسهام الفرد في الحفاظ على الاستقرار، وتعمل وتدعم وجود الدولة الحديثة والدستور الوطني ومهارات اتخاذ القرار والحوار واحترام حقوق وواجبات الافراد (حسن، ٢٠١٣، ص ٤٥). ان المواطنة كنتاج للتحويلات الاجتماعية والاقتصادية في سعي دؤوب لتفكيك

البنى القبلية والعشائرية وسيادة المواطن كوحدة اقتصادية وحقوقية مستقلة، وهو نتاج تعزز بسيادة القانون وأجهزة حفظ الأمن الذاتي والأمن العام في الوطن، فلا داعي للتفكير بأدوات الحماية الذاتية بل التفكير بالانخراط في آليات مصلحة جمعية والانضواء في حزب سياسي أو منظمة أهلية أو نقابة مهنية يمارس بها المواطن دوره وفاعليته ونشاطه ومشاركته في الحياة الاجتماعية الوطنية العامة على قدم المساواة مع الآخرين وما يميزه هو فاعلية دوره في تقدم المجتمع وليس أصله العرقي، أو الاجتماعي، أو الطبقي، أو جنسه أيا كان ذكرا أم أنثى، فالمواطنة هكذا كآلية للحد من الصراعات الاثنية والعرقية والاجتماعية وفق منظومة من البنى القانونية والمفاهيم الاجتماعية والقيمية التي تشترط عدم التمييز وعدم المساواة في الحقوق والواجبات، وانتهت مفهوم التمييز العنصري المثير لاشمئزاز الانسان، الذي تعزز بكفاح الشعوب ضد أنظمة الاستعمار، والغاء قوانين التمييز بحق النساء، فنجدهن اليوم يتبأن مراكز قيادية في الاحزاب والنقابات أو أعضاء برلمان أو حتى رئيسات دول، واستطاعت الحركة النسوية العالمية تحقيق انجازات دالة، وكذلك الحركة العمالية المحرومة والمقهورة التي حاولت نيل حقوقها وضمانها في اقرار موثيق دولية، انها انجازات المواطنة وسيادة القانون والمساواة (غيلان وعباس، ٢٠١٥، ص١٠١٨).

فاذا كان اللاتسامح قرين الدكتاتورية فان المواطنة معادل التسامح وحاضنته وتستلهم روحيته، لأنها تصدر من ذات الأصل الذي ينطلق منه التسامح في قبول الآخر ونزوع الانسان نحو اجتماعه، لأن المواطنة نتاج مشاعر انسانية وأحاسيس نبيلة تعد المعادل الموضوعي لأخلاقية التسامح في نظام العلاقة مع الآخر وتتبذ كل علاقة عمودية تأتي عن طريق سلطة ممنوحة بفعل القوة، "فالناس صنفان اما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق"، فالنظير على خط مستقيم في العلاقة الأفقية مع الآخر، وشمول الناس بالتكافؤ في التناظر يظهر في المساواة طبيعيا وقانونيا، كما اعتمدته دساتير الأمم المتحضرة في تشريع حق المواطن لتنظيم علاقته بالآخر، وهذا يفسح المجال واسعا أمام غاية التسامح النبيلة لتؤدي دورا انسانيا رائدا، لأن قبول الآخر المختلف واحترامه ومحاورته والاعتراف به والدفاع عن حقوقه وعدم تنميته أو ازدرائه يدل على ثقة الذات بنفسها وادراكها لهويتها وما لها من ميزات وخصائص، انها فعلا في المواطنة وسيادة منطق القانون والمساواة وفي التسامح المبني أساسا على الحقوق للبشر جميعا والشعوب.

وتعد عبارة (فولتير) الشهيرة ملخصا لمضمون التسامح (انني لا اوافق على ما تقول، لكنني سأدافع حتى الموت عن حقاك في أن تقوله). لأن ثقافة التسامح توفر للفرد صيغة سلوكية اجتماعية تكون علاقات اجتماعية ايجابية وتنظم المجتمع وتحافظ على استقراره وفقا لمصالح افراده، لأنه جوهر عملية الضبط الاجتماعي الممارس على الافراد عند قيامهم بسلوك مخالف فالتسامح يستقر في ضمير الفرد

ويشعره بالارتياح عند التخلي عن المخالفات، والتسامح سلوك شخصي اجتماعي يصدر من قبل الفرد دون وقوع اي هجوم على حقوق الفرد الآخر فيتركه ليعبر عن حريته وافكاره وثقافته دون مخالفته والتصدي له، ما يحقق التآزر والمحبة والتعاون والالفة والانسجام وتحمل المسؤولية للوقوف بوجه مشاكل الحياة الاجتماعية، فتتامي مشاعر الاحساس الاجتماعي بالمجتمع، بخلاف الاغتراب عن الواقع، لأن ازالة الحقد والكراهية الموجودة في ضمائر البشر والابتعاد عن العنف والجريمة بالتسامح ينمي روح المواطنة والديمقراطية بينهم ويخلق وعي سليم لبناء مجتمع سليم، والتسامح يجعل السلام ممكنا عالميا، لأنه جزء من العدالة، وفضيلة تستبدل ثقافة العنف والحرب بثقافة السلام، وبذلك فإن المواطنة هي الضمانة الحقيقية والرئيسية لأي مجتمع ديمقراطي يتمتع فيه الجميع بكافة الحقوق ويؤدوا ما عليهم من واجبات بصرف النظر عن اختلافاتهم أيا كانت، على أن لا تعد كحقوق فقط، لأنها بذلك ستكون أهم معوقات ترسيخ مبدأ المواطنة المطالبة بالحق، والذي تتساوى فيه مع مسؤولية أداء الواجب، ولا ينبغي أن يفهم التسامح على انه موقف الضعف أو الامتتان العالي أو التعالي بابداء الصفح والعفو من موقف الترفع على الآخر ولا التردد والاضطرابات واللاحسم، انما هو موقف قوة الضمير وشفافية النزعة الانسانية للتسامح وسمو روحه الاخلاقية (المزين، ٢٠٠٩، ص ١٩١).

#### الاستنتاج

تستنتج الباحثة مما تقدم أن التسامح هو مبدأ وقيمة انسانية وسماوية عليا أكدت عليها جميع الأديان وحث عليها جميع الرسل والأنبياء لأنها ترتقي وتسمو بالبشرية على اختلافاتهم في كل شيء، فالسماحة والعفو والصفح والغفران، جميعها مفردات دونها تصبح الحياة بين أي انسان والآخر مجردة من قيمة الأُنس والتشارك في الحياة على تنوعها واختلافها المادي والمعنوي، سيما الدين الاسلامي خاتم الأديان والرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الرسل، الذي لم يكن يتعامل في أي تعامل في الحياة الا بهما حتى مع الأعداء والأسرى في الحرب بل وحتى في القصاص والعدل الالهي، وقد اشترك هذا المفهوم في تعريفاته ونصوصه في الكثير من المشتركات مع مفهوم المواطنة سيما في الحقوق والواجبات والاعتراف بالآخر والدفاع عن الآخر وعن الحق العام والحق الخاص، لكن يجب أن يكون هذا التسامح ايجابيا فقط حتى ينجح في بناء دولة الأُنس والتشارك والتسامح والحقوق والواجبات بديمقراطية سمحاء. وبين التسامح والمواطنة ومشاركتهما وعوائقهما ومبادئهما، نجد أن كل منهما أساس في دعم الآخر والاعتماد عليه في بناء مجتمع المواطنة ودولتها للحفاظ على حقوق الجميع والمطالبة بها والتساوي في أداء الواجب، تبعا لدستور وقانون ونظام، بنزعة انسانية للتسامح والعيش بسلام في وطن واحد يعيش فيه الجميع مهما كانت اختلافاتهم ضمن حدود هذا الوطن بمبادئ الديمقراطية.

فاذا كان اللاتسامح قرين الدكتاتورية فان المواطنة معادل التسامح وحاضنته وتستلهم روحيته

### التوصية

توصي الباحثة كل من يهمة الأمر في المجتمع العراقي من مؤسسات ومنظمات باتخاذ هذه العبارة الرائعة: (انني لا اوافق على ما تقول، لكنني سأدافع حتى الموت عن حقك في أن تقوله) منهاج ينتهج من قبل افرادها ومواطنيها تؤسس لحقيقة بناء المجتمع من قبل أفراد يؤمنون بالتسامح ويجسدون المواطنة بالتفاني من أجل الدفاع عن حقوق بعضهم البعض، فلا يحدث أي خرق أو اعتداء على حقوق الآخرين، وتتمنى أن يعمل بها الجميع ليحققوا دولة العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات والتعايش والتشارك السلمي والأهلي المجتمعي الكريم.

### المقترح

تقترح الباحثة اجراء دراسة اجرائية تطبيقية ميدانية ارتباطية تقيس المفهومين بمقاييس ذات خصائص سيكومترية جيدة على عينات مهمة ولها دورها في بناء المجتمع وتكشف درجة ونوع العلاقة بينهما وتحدد درجة وطبيعة اسهام احدهما بالآخر.

### المصادر

١. القرآن الكريم
٢. ابن مسكويه، احمد بن محمد بن يعقوب، (١٩٨٢)، تهذيب الاخلاق، بيروت، دار الكتب العلمية، ط(١).
٣. ابن منظور، محمد بن مكرم، (١٩٥٦)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، مج (١٠).
٤. أبو جاسر، صابرين مراد نمر، (٢٠١٠)، أثر ادراك العاملين للعدالة التنظيمية على ابعاد الاداء السياقي/ دراسة تطبيقية على موظفي وزارات السلطة الوطنية الفلسطينية، رسالة ماجستير في ادارة الأعمال/ الجامعة الاسلامية.
٥. أفقية، محمد، (٢٠١٦)، الوطن والمواطنة في الكتاب والسنة، (دراسة تأصيلية تحليلية)، رسالة ماجستير في العلوم الاسلامية/ كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر: خروية- قسم العقائد والاديان.
٦. الجابري، نبيل نعمة، (٢٠١٣)، التسامح في الاسلام، مركز الامام الشيرازي للدراسات والبحوث، <http://www.annabaa.org/nbanews/68/380.htm> ، [www.shrsc.com](http://www.shrsc.com)
٧. جبر، لؤي خزعل، (٢٠٠٨)، الهوية الوطنية العراقية دراسة ميدانية، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، بغداد.
٨. جرار، أماني غازي، (٢٠١١)، المواطنة العالمية، ط١، عمان، دار وائل للنشر.

٩. الجميلي، تيسير محمد خلف، (٢٠١٥)، تنمية ثقافة الحوار والتسامح في المؤسسة الجامعية/دراسة ميدانية في جامعة بغداد/مجمع الجادرية، كلية التربية للبنات، قسم الخدمة الاجتماعية.
١٠. جوزيف، سعاد، (٢٠٠٣)، الجنس والمواطنة في الشرق الأوسط، ترجمة ريماء فواز، دار النهار، بيروت، ط١.
١١. حسن، انتصار عبد الأمير، (٢٠١٣)، أثر برنامج ارشادي في تنمية مفهوم المواطنة لدى طالبات المرحلة المتوسطة، رسالة ماجستير في العلوم النفسية/ الارشاد النفسي والتوجيه التربوي/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية، جامعة بغداد.
١٢. حسن، وجدان فالح، (٢٠١٢)، المواطنة ودورها في ترصين الوحدة الوطنية في العراق، مجلة دراسات اسلامية معاصرة، ط(٣)، ع(٦)، جامعة ميسان: كلية القانون.
١٣. الحكاك، وجدان جعفر جواد، (٢٠١٥)، التفكير المزدوج ودوره في تعزيز روح التسامح لدى طلبة الجامعة، مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد(٤٥)، ص ص (١٤٣-١٧٢).
١٤. الحمد، ابراهيم & العمر، (٢٠١٧)، التسامح الاجتماعي من دعائم المواطنة/نفحات قرآنية/مقالة منشورة/الخليج.
١٥. الحيدري، مصطفى، (٢٠١٠)، دراسة في الهوية الوطنية العراقية.
١٦. الخطيب، جمال، (١٩٩٤)، تعديل السلوك الانساني، المطبعة التعاونية، عمان، ط٣.
١٧. الدين، محمد زين، (٢٠٠٦)، بناء مجتمع المواطنة، المجتمع المدني، الحوار المتمدن، مقالات منشورة.
١٨. ذياب، فايد، (٢٠٠٧)، المواطنة والعولمة "تساؤلات الزمن الصعب"، مصر، مركز القاهر لدراسة حقوق الانسان.
١٩. الربيعي، ياسين حميد، (٢٠٠٧)، بناء وتطبيق مقياس المواطنة لدى طلبة الجامعة، (بحث منشور)، مجلة مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة بغداد، العددان(١٤ و ١٥).
٢٠. رضا، محمد رشيد، (١٩٤٧)، تفسير المنار، المكتبة الوقفية، ط(٢).
٢١. الرماحي، حيدر، (٢٠١٥)، مفهوم التسامح واثره في بناء المجتمع التعاوني، مجلة شهرية ثقافية تصدر ع دار الهدى للثقافة والاعلام (www.alhodamg.com)
٢٢. زقزوق، محمود حمدي، (٢٠٠٣)، التسامح في الاسلام، مجلة التسامح للدراسات الفكرية والاسلامية، العدد الاول، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان.
٢٣. الشريف، محمد بن شاكر، (٢٠٠٩)، المواطنة أم الأمة، مجلس البيان، العدد(٢٥٩)، المملكة العربية السعودية.
٢٤. الشيخ، خليل، (٢٠٠٣)، حديث التسامح، مجلة التسامح للدراسات الفكرية والاسلامية، سلطنة عمان، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، العدد(١).

٢٥. العادلي، حسين درويش، (٢٠٠٨)، الهوية العراقية، مجلة المواطنة والتعايش، العدد (٨)، تصدر عن دار وطن للعلوم والدراسات، بغداد.
٢٦. العلمي، منير عبد القادر، المواطنة. <http://elalami.net>.
٢٧. غيلان، خضر عباس & عباس، سميرة ابراهيم، (٢٠١٥)، المواطنة وعلاقتها بالمسؤولية الاجتماعية لدى طلبة الجامعة، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد (٢١)، العدد (٩٠)، صص (١٠١٧ - ١٠٣٦).
٢٨. فولتير، (١٧٧٨)، "Voltaire a publié son ouvrage Traité sur la tolérance" مقالة في أصل التسامح. Vol.20.
٢٩. الكواري، علي خليفة، (٢٠٠١)، المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
٣٠. المالكي، عطية بن حامد بن ذياب، (٢٠٠٩)، دور تدريس مادة التربية الوطنية في تنمية قيم المواطنة لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، كلية التربية، قسم المناهج وطرائق التدريس.
٣١. مجمع اللغة العربية، (١٩٦٥)، المعجم الوسيط، ط (٢).
٣٢. محفوظ، محمد (٢٠٠٤)، التسامح وجذور اللاتسامح، معنى التسامح وآفاق السلم الاهلي، مجلة قضايا اسلامية معاصرة، العدد (٢٨-٢٩)، بيروت وبغداد.
٣٣. المزين، محمد حسن محمد، (٢٠٠٩)، دور الجامعات الفلسطينية في تعزيز قيم التسامح لدى طلبتها من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية/ قسم اصول التربية، جامعة الأزهر، فلسطين: غزة.
٣٤. معجم المعاني الجامع، <https://www.almaany.com>.
٣٥. منظمة الامم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو UNESCO"، (١٩٩٥)، وثيقة اعلان اليونسكو حول التسامح، المؤتمر العام لليونسكو في دورته الثامنة والعشرين، فرنسا: باريس [www.umn.edu/humanrts/arab/tolerance](http://www.umn.edu/humanrts/arab/tolerance)
٣٦. ناجي، علاء محمد، (٢٠١٧)، ثقافة التسامح ودورها في تقوية العلاقات الاجتماعية، مركز الفرات. [Fcds.com/social/987](http://Fcds.com/social/987)
٣٧. ناربان، (٢٠٠٤)، تعليم القيم الانسانية والمواطنة، ورقة مقدمة الى ورشة عمل المواطنة في المنهج المدرسي، مسقط، وزارة التربية والتعليم.
٣٨. اليازجي، ندره، (٢٠٠١)، السمات العامة للانسان المثقف الحضاري، مكتبة معابر الالكترونية، اصدارات خاصة - قيم خالدة - الاصدار الثاني، <http://www.maaber.org>
37. Howe, Brian.(2005), Citizenship Education For Child Citizens, Canadian

and International Education Journal, Vol(43), No(1).

38.Mills, (2002): Citizenship. Pupil Involement Scottsh Schools pedagogy, Culture and Societey, Vol.12, N,2, Education For Global Citizenship, A Guide For School WWW. Oxfam. Org. uK \ \ teachrrs.

39.Encyclopedia, Boor International. Inc. (1990), the new Encyclopedia, Britaina,